

أحاديث رمضان ١٤٢٥ هـ - ومضات ولقطات إيمانية - الدرس (١٣-٦٤) : خيار الإيمان  
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٤-١٠-٢٠

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

### خيار الإنسان مع الإيمان خيار وقت فقط :

أيها الأخوة الكرام، في سورة الأنعام في قوله تعالى:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ  
الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)

[سورة الأنعام الآية: ١]

يغيّرون ما أذاعوا به، يعتقدون اعتقاداً  
آخر، معنى ذلك: أن خيار الإنسان مع  
الإيمان خيار وقت، هذا الذي رفع لواء



الفرق شاسع بين من يملك عقيدة صحيحة  
ومن يملك عقيدة فاسدة

الكفر، والذي روج أفكار الكفر، وهذا الذي آمن بالدنيا، وهذا الذي كذب بالآخرة، وهذا الذي أله  
هواه وشهواته، حينما يأتيه ملك الموت يرجع إلى الحق، ولكن بعد فوات الأوان، والدليل: أن أكفر  
كفار الأرض فرعون، قال:

(فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)

[سورة النازعات الآية: ٢٤]

(وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي)

[سورة القصص الآية: ٣٨]

وحينما أدركه الغرق قال:

(قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ)

[سورة يونس الآية: ٩٠]

أخطر موضوع: أن خيار الإيمان خيار وقت، لا خيار قبول أو رفض.

## من شرد عن الله اخترع تصورات غير صحيحة :

أيها الأخوة، المشكلة: أن هذا الذي شرد عن الله عز وجل، ي اخترع توازنات ومعادلات تصورات وتقبيمات كلها غير صحيحة، لكنه يقنع بها مكابرة، لأنها تتماشى مع شهواته ومصالحه، فالذي ينتفع من فكرة ما، لا يمكن أن يعتقد بغيرها، لأن هذه الفكرة التي انتفع بها مرتبطة بمصالحه وشهواته، لذلك: في الإيمان نعمة لا يعرفها إلا المؤمن؛ أنه كلما عاش، وامتد به العمر، وكلما تطورت الأمور، واستجدت مستجدات، وكلما ظهرت أحداث، كل هذا الذي يجري يؤكد إيمانه، بينما الذي اعتقد عقيدة فاسدة، وبنى تصورات خاطئة، وانطلق من منطلقات غير صحيحة، سوف يصاب بإحباط شديد. نظن مثلاً: أن الجماعية، وترجيح مصالح الجماعة على مصالح الفرد، وأن نرفع لواء : لا إله في العالم الشرقي، هذا الذي يسعد البشر، فإذا هذا الذي طرح، والذي مورس كان سبب شقاء البشر، الذي اعتقد بهذا الاعتقاد، وظن في وقت ما أنه أصاب الحقيقة، فلما ظهر زيف هذا، حدثت معه حالة إحباط، الآن المؤمن يشعر بنعمة لا تقدر بثمن: أن الأحداث، ومجريات الأمور، والنوازل، والوقائع كلها تؤكد تصورات المسلم عن كل شيء.

## المسلم يملك تصورا صحيحا عن الكون والحياة والإنسان:



يوجد نعمة في الإسلام هي: نعمة أن المسلم يملك تصورا صحيحا عن الكون والحياة والإنسان، وعمّا قبل الحياة، وعمّا بعد الحياة، هذه الفلسفة أو التصور تعطيه راحة نفسية، ولا شيء يأتي، ولا شيء يستجد إلا يؤكد ذلك التصور، يوجد حالة اسمها توازن، المؤمن متوازن نفسياً، بينما إنسان اعتقد عقيدة زائغة، أو ركز على المال وحده، أو

على التقدم، أو على التقنية، أو على قيم الغرب، كما يقال: الحرية والديمقراطية، ثم كشف الغرب على حقيقته، فالذي يعتقد هذا الاعتقاد، أصيب بخيبة أمل وحالة إحباط. دقق في هذه الكلمة:

**(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)**

[سورة الأنعام الآية: 1]

يؤكد هذا المعنى قوله تعالى:

(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ)

[سورة الأنعام الآية: ٢٠]

يعرفون أن هذا القرآن حق من عند الله، ويعرفون أن رسول الله هو رسول الله كما يعرفون آبائهم. بربكم: هل في الأرض معرفة أوثق وأسرع من أن يعرف الإنسان ابنه؟ هل هناك أب على وجه الأرض يسأل ابنه: من أنت؟ ما اسمك؟ ما ترتيبك بين أولادك؟ مستحيل، معرفة الأولاد معرفة بديهية، الله عز وجل يقول:

(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)

[سورة الأنعام الآية: ٢٠]

آية ثانية تؤكد هذه الحقيقة:

(ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ)

[سورة الأنعام الآية: ٢٣]

### الفتن في الأرض لا تعد ولا تحصى :

الآن: هناك فتن في الأرض لا تعد ولا تحصى، تطرح أفكار وشبهات وطروحات كلها لا أصل لها في الحقيقة، لكن هذه الطروحات تتماشى مع مصالح من يطرحها، لذلك سمي الله هذه الطروحات المناقضة لما في القرآن الكريم ولما في السنة الصحيحة، سماها فتناً:

(ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ)

[سورة الأنعام الآية: ٢٣]

قال تعالى:

(انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ)

[سورة الأنعام الآية: ٢٤]

أيها الأخوة، يجب أن نعتقد جميعاً أن هذا الذي يطرح فكراً، أو قيماً، أو مبادئ تتناقض مع وحي السماء والحق الصريح، إنما يطرحها لشهوة يريد أن يمارسها تحت هذا الغطاء، ويريد أن يطرحها لهوى في نفسه يريد أن يحققه، لذلك: بطولة الإنسان أن يهتدي إلى الحق، لا أن يهتدي إلى الباطل، الباطل أيضاً مزخرف.

قال تعالى:

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ \* وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ

وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ)

[سورة الأنعام الآية: ١١٢-١١٣]

أيها الأخوة، أسوق هذا الكلام، لأن أي إنسان يريد أن يتماشى مع شهواته، لا بد من أن يغطي نفسه بفكر وبعقيدة وتصور، يغطي نفسه بهذا الفكر، ويدافع عنه، لكن الله يكشف زيف هؤلاء.

## أنواع الاختلاف بين الناس :

### ١-الاختلاف الطبيعي :

شيء آخر؛ الله عز وجل حينما قال:

**(وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْثُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ)**

[سورة آل عمران الآية: ١٩]

أيها الأخوة، الاختلاف قد يكون، وفي الأعم الأغلب بسبب الهوى والحسد والعدوان، لذلك يمكن أن نطرح: أن هناك اختلافاً طبيعياً سببه نقص المعلومات، لو أننا في اليوم التاسع والعشرين من رمضان سمعنا صوت مدفع، نشك أنه مدفع العيد أم تفجير في الجبل؟ نقص المعلومات يجعلنا نختلف، هذا الاختلاف طبيعي ليس محموداً ولا مذموماً، ما الذي يحسمه؟ أن نفتح، ونستمع في نشرة الأخبار: أن غداً أول أيام العيد، حُسم الأمر:

**(وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْثُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ)**

[سورة آل عمران الآية: ١٩]

الأنبياء حسموا الخلاف، فالخلاف الذي بسبب نقص المعلومات، حسم ببعثة الأنبياء، هذا خلاف طبيعي، ليس محموداً ولا مذموماً.

### ٢-الاختلاف القدر:

لكن الخلاف القدر هو: خلاف الأهواء والمصالح.

صدقوا أيها الأخوة، يكاد يكون خمسة وتسعون بالمئة من الاختلاف في الأرض في كل شيء، بسبب الهوى والمصالح، لذلك: هذا الخلاف القدر الذي مبعثه الأهواء والمصالح:

**(وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْثُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ)**

[سورة آل عمران الآية: ١٩]

بسبب البغي والحسد.

لكن الاختلاف المحمود هو: أن تتصور أن أكبر شيء يرضي الله إنفاق المال، وقد يتصور إنسان آخر أن أكبر شيء يرضي الله تسليك الناس إلى الله، أو إنشاء المساجد، أو رعاية الأيتام، أو توفير الأعمال للشباب، أو نشر الحق، أو الرد على أباطيل الكفار، المؤمنون يتنافسون في طرائق لإرضاء الله عز وجل، هذا



التنافس في العمل الصالح من الاختلاف المحمود

الاختلاف محمود، اختلاف التنافس، قال تعالى:

(وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)

[سورة المطففين الآية: ٢٦]

فحينما نتنافس جميعاً على اختيار طريقة ترضي الله أكثر فهذا خلاف محمود، أما الخلاف القذر: أن يكون الهوى سبب اختلافنا.

من يملك رؤية صحيحة ونظراً حاداً يكشف زيف الأفكار :



الرؤية الصحيحة تكشف زيف أية أكاذيب تروج

على كل؛ هاتان الآيتان:

(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَأَ يَوْمِنُونَ)

[سورة الأنعام الآية: ٢٠]

( انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ)

[سورة الأنعام الآية: ٢٤]

(انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ)

[سورة الأنعام الآية: ٢٤]

والشيء بالشيء يذكر، رجل يمثل رعاة البقر كان يروج للدخان، ويقول: تعال إلى حيث النكهة، فمات بسرطان الرئة! قال كلمة وهو على فراش الموت: كنت أكذب عليكم، الدخان قتلني. فأنا أتمنى على كل أخ كريم مؤمن: ألا يكون ضحية كذبة ذكية، والله الذي لا إله إلا هو، يطرح في العالم في المكتبات والصحف وأجهزة الإعلام التي تأتيها من الخارج، يُطرح من الكذب ما لا يصدق، والإنسان أحياناً لضعف إيمانه واطلاعه، يصدق هذه الأكاذيب، هي كلها أكاذيب، لكن وراءها مصالح، كل كذبة ورائها مصلحة.

فالإنسان حينما يهبه الله عز وجل رؤية صحيحة، ونظراً حاداً نافذاً ثاقباً، يكشف زيف هذه الأفكار، فيعتصم بالحق.

من أجل أن تكون المرأة متعة في كل مكان، نروج لها نزع الحجاب، هناك شهوة وراء هذه الدعوة، هي تغطي أنها نصف المجتمع، وأن الإنسان إيمانه في قلبه، وأن هذه التقاليد القديمة ليست إسلامية، إنما هي عثمانية، وأن الحجاب تخلف، هذا الذي يروج، مع أن الحجاب أصل في الدين، في القرآن والسنة، لكن أعداء الحجاب يروجون أنه من العادات والتقاليد، ووراء هذا الترويج شهوة، أن يستمتع بالمرأة في أي مكان، في المكتب، في الطريق، في الجامعة، وأن تكون سلعة رخيصة، وتكون ضحية ذنب بشري، فلذلك: حينما يأتي الإنسان إلى بيت من بيوت الله ليتلقى الحق الصريح، هذا القرآن الكريم منهج الإنسان، ويدعوك لسبل السلام مع نفسك، وبأسرتك، وفي عملك، وفي دنياك وآخرتك:

**(فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى)**

[سورة طه الآية: ١٢٣]

### الخطر على الدين من أديائه:

اخترت لكم في هذا الدرس هذه الآيات التي تكشف زيف وكذب من يروج للباطل، أقول هذا الكلام، لأن الترويج للباطل الآن بأعلى درجة، حتى في الفضائيات، والندوات الدينية، هناك من يقول في ندوة دينية: إن قطع اليد توحش، المشكلة: أن الخطر على الدين ليس من أعدائه، بل من أديائه. نرجو الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا عقيدة سليمة، وإيماناً بهذا الكتاب، لأن يوم القيامة تكشف فيه الحقائق، وكل بطولة الإنسان: أن يأتي المستقبل وفق ما تعتقد، أما إذا جاء المستقبل بخلاف ما تعتقد، دفعت ثمناً باهظاً من سعادتك وسلامتك.

**والحمد لله رب العالمين**